١٣ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الاستاذ فليكس فارس

لعنة الأفعى

واستسلم زارا للكرى يوما تحت شجرة التين ، وكان الحر شديداً فستر وجهه بساعده فأتت أفعى ولسعته فى عنقه فصرخ متألماً وانتفض محدقاً بالأفعى فعرفت عينيه وتململت لتنصرف ، فقال لها زارا : — « لا تذهبي قبل أن أقدم لك شكرى ، لأنك نبهتنى فى الزمن المناسب لأقوم بسفر بعيد »

فأجابت الأفعى وفي صوتها غنة الأسى : — بل سفرك قريب فزعافى قاتل

وابتسم زارا وقال : وهل لزعاف الأفعى أن يقتل تنيناً ؟ خذى سمك ، إنى أعيده اليك فلست من الغنى على ما يسمح لك بتقديمه هدية لى .

وسارعت الأفعى الى الالتفاف حول عنق زارا تلحس جرحه.

وقص زارا هذه الحادثة يوما على أتباعه فقالوا له : وما هو المغزى الأدبى لهذه القصة ، فاجاب : — إن أهل الصلاح والعدل يدعونى هداما للمبادئ الادبية فقصتى لا تتفق وهذه المبادئ .

اذا كان لكم عدو فلا تقابلوا شره بالخير لأنه يستصغر بذلك نفسه ، بل أكدوا له أنه أحسن بعمله اليكم ، والأجدر بكم ألا تحتقروا أحداً ، تظاهروا بالغضب ، واذا وجهت اللعنة اليكم ، فلا يسرنى أن تمنحوا البركة ، إن ما يسرنى هو ألا تأبوا اللعن أنتم أيضا ، واذا ما أنزلت بكم مظلمة كبيرة فبادلوا المعتدى مثلها وارفقوها بخمس مظالم صغرى ، لأنه ما من مشهد أشد قبحا من مشهد من لا يخضع إلا للظلم .

إن اقتسام المظالم بالتساوى إنما هو مساواة بالحق ، فهل كنتم تعرفون هذا من قبل ؟ من يقدر على إرهاق الناس بظلمه فعليه أن يحتمل هو الظلم أيضا .

لئن ينتقم الانسان قليلا ، فذلك أدنى إلى المعروف وليس من الانسانية أن يترفع المظلوم عن الانتقام . إننى لأنفر من اقتصاصكم إذا لم يكن عبارة عن حق تؤدونه للمعتدى ، وإن من يسند الخطأ الى نفسه لأنبل ممن يعلنون فى كل آن أن الحق فى جانبهم ، وأخص من هؤلاء من كانوا حقيقة على صواب . ان أغنياء الروح لا يفعلون هذا .

انى أكره عدالتكم الباردة ، فان فى عيون قضاتكم ازورار الجلاد ولمعان سيفه . فأين العدالة تلمح فى عينيها الصفاء . أو جدوا لى الحب الذى لا يكتفى بحمل كل أنواع العقاب ، بل يحمل أيضا جميع الخطايا .

أوجدوا لى العدل الذى يبرىء الجميع ليحكم على الانسان الذى يدين .

أتريدون أن أذهب الى أبعد مما قلت فأعلن لكم أن الكذب نفسه يصبح محبة للانسانية فى نفس من يتوق الى إقامة العدل .

ولكن هل بوسعى أن أقيم العدل بكل اخلاص . وكيف يمكننى أن أتوصل الى اعطاء كل ذى حق حقه . اذن ، لأكتفين بان أعطى أصحاب الحق حقى الخاص .

وأخيراً ، حاذروا ظلم المنفرد ، اذ ليس بوسعه أن ينسى وأن يبادل الظالمين ظلما ، وما المنفرد الا بئر عميقة يسهل على من يشاء أن يلقى فيها حجراً . ولكن من يقدر أن يستخرج هذا الحجر اذا بلغ قعر البئر السحيق ؟

احترسوا من اهانة المنفرد ، واذا أنتم حقرتموه فاجهزوا عليه بقتله .

هكذا تكلم زارا . . .

الفصل الثانى

الطفل حامل المرآة

ورجع زارا الى الجبال ، الى عزلة كهفه ليحتجب عن الناس كالزارع ألقى بذوره فى أثلام أرضه وبات يتوقع نبتها ، ولكنه ما لبث أن حنت جوارحه الى أحبابه اذ كان عليه أن يمنحهم بعد كثيرا من الهبات وأصعب ما يلقى المحب اضطراره الى قبض يده اجابة لداعى محبته وتفاديا للمنة فى عطائه .

ومرت على المنفرد الشهور والأعوام وحكمته تزداد نموا فتزيده ألما باتساع آفاقها .

وأفاق يوما ، من نومه قبل انفلاق الفجر واستغرق فى تفكيره وهو ممدد على فراشه وتساءل قائلا :

ـــ لماذا أرعبنى هذا الحلم الذى استفقت منه مذعوراً ؟ رأيت كأن ولدا ، يحمل مرآة ، اقترب منى وهو يقول :

ـــ انظر فى هذه المرآة يازارا

وما نظرت الى المرآة حتى صرخت وخفق قلبى خفوقا ، شديدا ، . لأن ما انعكس لى فى المرآة لم يكن وجهى بل وجها تقطبت أساريره بضحكة شيطان ساخر

والحق ما يفوتنى تعبير هذا الحلم وإدراك ما نبهت اليه فان تعاليمى مشرفة على خطر، والزوان يريد أن ينتحل صفات الحنطة. لقد استأسد أعدائى فشوهوا تعاليمى حتى أصبح أتباعى يخجلون مما وهبتهم .

لقد فقدت صحبى وآن لى أن أفتش عمن فقدت

وانتفض زارا لا كمن استولى الذعر عليه بل كأخوذ برؤى وكشاعر هزه شيطانه . فوجم نسره وأفعاه وحدقا بوجهه وقد لاحت بوادر السعادة عليه كتباشير الفجر . فقال لهما :

ـــ ماذا حدث لى ؟ أفما تريان انى تغيرت ؟ افما تحسان ان الغبطة قد نزلت على كانها عصفات الرياح ؟

لقد جنّ شعورى بهذه السعادة فلن يسلم بيانى من اختلال هذا الشعور ، ان سعادتى لم تزل فى حداثتها فتذرعا بالصبر معى عليها

لقد أوجعتنى سعادتى فليكن أساتى كل من أرهقتهم الأوجاع

إن فى وسعى الآن أن أنحدر الى مقر صحبى والى مقرّ أعدائى فقد أصبح زارا قادراً على استطراد القول والاحسان الى من يحب

لقد آن لحبى أن يتدفق كالذى يندفع من الأعالى الى الأعماق ، ويتجه من الشرق الى المغرب .

إن نفسى تندفع مرغية مزبدة فى الوديان متملصة من الجبال الصامتة تصخب فوقها عواصف الآلام. ولطالما تعللت بالصبر وعلقت أبصارى على بعيد الآفاق ، لقد أرهقتنى العزلة فما أطيق السكوت بعد

أصبحت وكأنى بأجمعى فمٌ أو هدير جدول يتحدر من شامخات الصخور . أريد أن أقذف بكلماتى الى الأغوار . فيجرى نهر حبى فى المفاوز البعيدة ، ولن يضل هذا النهر سبيله الى مصبه فى البحار

ان فى داخلى بحيرة وحيدة قانعة بنفسها ، غير ان نهر محبتى يجتذبها فى مسيره ليقطع معها السيول ويترامى وإياها فى لجة البحر

انى أتبع مسالك لم أعرفها من قبل وألهمت يانا ، جديدا ،

بعد أن اتعبتنى اللهجات القديمة التى ترهق كل المبدعين وقد امتنع على فكرى أن يقتفى رواشم النعال المقطعة

مامن لغة إلا وأراها بطيئة تقصر عن مجاراة يانى

سأقفز الى صهوتك أيتها العاصفة فألهبك أنت أيضاً بسوط سخريتى

أريد أن أقطع أجواء البحار كهتفة مسرة وحبور الى أن أستقر على الجزائر السعيدة حيث يقيم أحبابى ، وبينهم اعدائى أيضاً ، لشد ما أحب الآن جميع من يتسنى لى أن اوجه إليهم الكلام . وسيكون لهؤلاء الاعداء أيضاً قسطهم فى إيجاد غبطتى

عندما أتحفز لاعتلاء أشد جيادى جموحاً لا أجد لى معيناً أصدق من ريحى متكأً أرتفع عليه

هو ريحى أهدد به أعدائى ، ولكم يستحقون ثنائى اذا ماتمكنت من طرح هذا الريح من يدى :

لقد طال اصطبار غيومى بين قهقهة الرعود وقد آن لى أن أرشق الأعماق بقذائف بردى .

إن صدرى سيتعاظم بانتفاخه حتى يزفر بالعاصفة الهائلة على الشامخات وهكذا سأفرّج عنه

فان سعادتى وحريتى سيندفعان اندفاع العواصف ولكننى أتمنى لو يحسب أعدائى أن ما يزمجر فوق رؤسهم إنما هو روح الشر لا روح سعادة وحرية

وأنتم أيضاً أيها الصحاب سيتولاكم الرعب عندما تنزل عليكم حكمتى الكاسرة ولعلكم تولون هاربين منها كما يهرب الأعداء

ليت لى أن أستدعيكم إلىّ بحنين شبابة الرعاة ، وليت تتعلم لبوة حكمتى أن تزأر بنبرات العطف والحنان ، فلطالما وردنا سويا من مناهل العرفان ، ولكن حكمتى الوحشية تمخضت بآخر صغارها فى الجبال السحيقة بين الجلامد الجرداء ، وهى الآن تطوف بجنونها الصحارى القاحلة مفتشة على المروج الناضرة

إنها لشيخة وحشية هذه الحكمة التى تقصد إنزال أعز مالديها فى مروج قلوبكم الناضرة

هكذا تكلم زارا .

(يتبع)

فليكس فارس

٨٠٣٠